

HOTEL RWANDA

صورة إفريقيا في المخيلة السينمائية الغربية:

دراسة في المنظور الاستعماري والواقع المُغيب

نهاد محمود

باحثة دكتوراه بكلية الدراسات الإفريقية العليا- جامعة القاهرة

لا تزال صورة إفريقيا في الخطابات العالمية محكومة بتصورات مشوّهة وغير دقيقة، تعود إلى الفترة الاستعمارية، لأنها ازدادت بروزاً - أي التصورات غير الدقيقة - عبر أدوات ما بعد الاستعمار الناعمة، مثل الأدب والسينما ووسائل الإعلام، هذه الأدوات لعبت دوراً في ترسيخ رؤية المركزية الأوروبية المَهْمَشَة لإفريقيا.

وبالاقتراب من «صورة إفريقيا» في صناعة السينما الغربية على وجه التحديد، يتضح أن هذه الصناعة لعبت منذ القرن العشرين دوراً بارزاً في الترويج لتلك الرؤى الاستعمارية، المستمرة حتى وقتنا الراهن. خلال ذلك مثلت صناعة السينما في هوليوود أداة قوية لصياغة وتمير تلك التصورات النمطية غير الإيجابية عن القارة الإفريقية.

حدث ذلك في أعمال عديدة، نذكر منها فيلم (مناجم الملك سليمان) King Solomon's Mines، الصادر أعوام (١٩٥٠، ١٩٨٥، ٢٠٠٤م). وفيلم (خارج إفريقيا) Out of Africa الصادر عام ١٩٨٥م. والفيلم الأشهر (طرزان) Tarzan نسخة ديزني الصادر عام ١٩٩٩م. (وآخر ملوك اسكتلندا) The Last King of Scotland الصادر عام ٢٠٠٦م. ساهمت هذه الأعمال، في ترسيخ صورة نمطية مشوهة عن إفريقيا، تنطلق من منظور المستكشف الأوروبي الذي يرى القارة كمكان غامض وغرائبي، إذ تصوّر «إفريقيا» على أنها مجرد براري وصحاري شاسعة تنتشر بها الفوضى والانقلابات العسكرية، كان مبرر ذلك أنه يُقدّم تحت ستار الترفيه، غير أن هذه الأعمال في جوهرها تتجاوز مجرد الترفيه، إذ تُكرّس للفكرة الاستعمارية القائلة إن «إفريقيا بلا تاريخ Africa has no history، لولا المستعمر الأوروبي الذي منحها تاريخاً، وحدّد لها موقعا على خارطة النظام الدولي».

انطلاقاً مما سبق؛ تهدف هذه الدراسة إلى قراءة وتحليل الكيفية التي يتم بها تصوير إفريقيا في مُخيّلة السينما الغربية، من خلال الإجابة عن تساؤل رئيس مفاده:

إلى أي مدى تؤثر صناعة الأفلام الغربية في تشكيل صورة القارة الإفريقية؟ وما دور المنصات الرقمية (مثل نتفليكس) والسينما الإفريقية (المحليّة) في تعزيز هذه الصورة أو تفكيكها وتقديم رؤى بديلة؟.

للإجابة عن هذا التساؤل؛ تم تقسيم الدراسة إلى خمسة محاور رئيسة وخاتمة، هي:

المحور الأول: الصورة النمطية لإفريقيا في السينما الغربية.. أطر ومدخل نظرية.

المحور الثاني: التمثيلات المتناقضة لإفريقيا

في المشهد السينمائي الغربي.
المحور الثالث: صنّاع الأفلام (السود) في السينما الغربية.. بين التهميش والاعتراف.
المحور الرابع: إفريقيا على شاشة نتفليكس.. كيف تُروى القصة؟

المحور الخامس: الإنتاج الثقافي الإفريقي (المحلي).. إعادة تشكيل الهوية السينمائية.
خاتمة: نحو سينما مُنصّفة.. تفكيك السرديات السائدة وإعادة إنتاج الهوية.

المحور الأول: الصورة النمطية لإفريقيا في السينما الغربية.. أطر ومدخل نظرية:

تبرز دراسة تصوير إفريقيا في سينما الغرب كمدخل مهم يسمح باستكشاف كيفية تشكّل السرديات المختلفة (الثقافية والسياسية والاجتماعية.. إلخ) عن إفريقيا.

وعليه: تقوم بدراسة الصورة الإفريقية (النمطية والاستثنائية) في إنتاج السينما الغربية، لكن نشير أولاً إلى عدد من المفاهيم والأدوات المنهجية المُؤسّسة لهذا السرد، فيما يلي:

أولاً: الإطار المفاهيمي:

تركز الدراسة على أربعة مفاهيم رئيسة، أولها: الصورة النمطية، ثانيها: هوليوود، ثالثها: نتفليكس، ورابعها: نوليوود. ونستعرض هذه المفاهيم بشيءٍ من التفصيل على النحو التالي:

١- مفهوم الصورة النمطية Stereotype:

يُعرّف قاموس كولنز Collins Dictionary الصورة النمطية بأنها: صورة عامة ثابتة أو مجموعة من الخصائص، يعتقد الكثير من الناس أنها تمثل نوعاً معيناً من الأشخاص أو الأشياء.

أمّا القاموس البريطاني؛ فيسرى أنها: صورة عامة ثابتة أو مجموعة من الخصائص التي تمثل نوعاً معيناً من الأشخاص أو الأشياء، لكنها قد لا تكون صحيحة في الواقع^(١).

ونتيجةً للعديد من التعريفات، حول الصور النمطية، فلا يوجد تعريف جامع مانع لها، لكن

(١) Barthelomew Gerald Aguugo, Kenneth Osunwa, Stereotypes and the Cinema of Africa, American Journals Publishing Center, (San Francisco, Vol.11, No.2, Jun 2023), p.23

كاليفورنيا، أسسها رائدا الأعمال الأمريكيان: ريد هاستينجز ومارك راندولف، في عام ١٩٩٧م، بوصفها موقعا لبيع وتأجير أقراص دي في دي DVD عبر البريد. وفي عام ٢٠٠٧م تحولت للبت الرقمي. وبحلول عام ٢٠١٣م كانت قد أطلقت أولى أعمالها (هاوس أوف كاردز) أو بيت البطاقات House of Cards، وهو مسلسل دراما سياسية أمريكي. أما في عام ٢٠١٦م فقد بدأت أفلامها المنتجة عن إفريقيا^(٤).

٤- نوليوود Nollywood:

«نوليوود» يُقصد به السينما النيجيرية التي ظهرت عام ١٩٤٩م، صاغ المصطلح الصحفي «نوريميتسو أونيشي» Norimitsu Onishi، من صحيفة نيويورك تايمز عام ٢٠٠٢م. وقد بدأت نوليوود كصناعة ذات إنتاجات منخفضة الميزانية، وتطورت إلى ظاهرة عالمية، ما جعلها واحدة من أكبر صناعات الأفلام في العالم^(٥).

ثانياً: المنهجية:

ترتكز هذه الدراسة، في قراءتها لصورة إفريقيا في السينما الغربية، على منهج تحليل المضمون، ونظرية ما بعد الاستعمار، وأداة المقارنة المنهجية، كما يلي:

١- منهج تحليل المضمون:

نستهدف من خلاله قراءة الرموز والمعاني بالأفلام الغربية والإفريقية التي تتخذ من إفريقيا موضوعاً لها، من خلال التركيز على نقاط التحليل الآتية:

أ- الشخصيات:

وخلالها نركز على الشخصيات الإفريقية التي تم تسليط الضوء عليها، من خلال السينما الغربية والإفريقية، بما يؤدي لرؤية شاملة لصورة إفريقيا.

ب- صناعات الأفلام الأفارقة:

وذلك من حيث أدوارهم في تشكيل صورة

من المهم الإشارة إلى أنه، في معظم الأحيان، لا تمثل الافتراضات القائمة على سلوك معين لفرد ما الطبيعة الحقيقية له أو لهؤلاء الأشخاص. أما علم النفس فيرى أن الصورة النمطية (صورة ثابتة وممتدة)، ومن ثم يصعب تغييرها.

من جهة أخرى؛ هناك شكلان للصورة النمطية، فكمثال توجد صورة نمطية سلبية، كالتالي يعاني منها الأفارقة خلال سرد قصصهم في السينما العالمية (موضوع المقال)، فهناك قوالب نمطية إيجابية، وهي اعتقاد موضوعي ومُرض عن مجموعة اجتماعية من الأشخاص أو عضو في هذه المجموعة^(١).

على سبيل المثال: يُقال إن شعب الإيجيو في نيجيريا هم العرق الأكثر مغامرةً واجتهاداً. وأن نساء أكوا إيبوم- إحدى ولايات نيجيريا- هن الأفضل في الطهي بين كل القبائل النيجيرية. كما تشتهر سيدات (كالابار) بأنهن الأكثر رومانسية في نيجيريا من حيث رعايتهن لأزواجهن، وبخاصة مجموعات الإفيك والأورون والإيبيبو. كما يشتهر سكان إيكيتي الأصليين في نيجيريا بأنهم الأكثر تعليماً في أرض اليوروبا. وأن السود (الزنج) يتمتعون بقدرات رياضية وفنية أكبر في الولايات المتحدة، وهكذا^(٢).

٢- هوليوود Hollywood:

مصطلح «هوليوود» يشير إلى صناعة الأفلام الأمريكية التي تتمركز في هوليوود بالولايات المتحدة، التي بدأت شهرتها في أوائل القرن العشرين (١٩١٥م). وتعد أكبر وأقوى صناعة سينمائية في العالم من حيث التأثير، والميزانيات، والتوزيع العالمي. كما يُنظر إليها كظاهرة اجتماعية وثقافية وصناعية معقدة، ربما تكون الكيان الأكثر أهمية للإنتاج الثقافي خلال القرن الماضي^(٣).

٣- نتفليكس Netflix:

«نتفليكس» هي شركة إعلامية مقرها

(٤) William L. Hosch., Nancy Ashburn, Netflix, Britannica, Feb 15, 2025, Accessible at: <https://www.britannica.com/money/Netflix-Inc>

(٥) Alessandro Jedlowski, When the Nigerian video film industry became «Nollywood»: naming, branding and the videos' transnational mobility, Estudos Afro-Asiáticos, 2011, Accessible at: <https://2u.pw/Gq1uz8IU>

(١) Idem

(٢) Idem

(٣) Thomas Schatz (Ed), Hollywood: Critical Concepts in Media and Cultural Studies, (London & New York: Routledge, 2004), pp.1-2

هوليوود ملامح إفريقيا؛

في هذا السياق؛ نشير إلى مجموعة من الأفلام قدّمت صورةً مُشوّهة عن إفريقيا، خلال تصويرها كأدغال مترامية الأطراف تسكنها الحيوانات، كما في العديد من أفلام ديزني، أو إبرازها كمسرح للفوضى والصراعات المسلحة. وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

١- (طرزان) و(الأسد الملك).. بين المغامرات البرية والتصورات الاستعمارية:

في إطار سعي السينما الغربية لترسيخ رؤيتها المفضلة عن إفريقيا كقارة بُدائية يعيش سكانها وسط الأدغال، يُشكّل فيلمًا (الأسد الملك) The Lion King (الصادر عام ١٩٩٤م)، و(طرزان) Tarzan (الصادر عام ١٩٩٩م) نموذجين بارزين لهذا التصوّر المُشوّه، إذ تدور أحداث كلا الفيلمين بالكامل في بيئات طبيعية، ويهيمن عليهما مشهد الأدغال والحيوانات البرية مثل الأسود والقردة والضباع، مع انتشار النيران، وغياب ملامح تطور المجتمعات الإفريقية أو الحياة الحضريّة. يعزز هذا النهج إفريقيا باعتبارها كيانا واحدا لا يعرف التنوع، متجاهلا أي تمثيل يعكس ثراء القارة وتعدد جوانبها^(٢).

على الرغم من أن اعتماد شركة ديزني على الحيوانات كشخصيات رئيسية في العديد من أفلامها، سواء كانت لها علاقة بإفريقيا أو لا، فإنه يمكن الملاحظة دون عناء أن شخصيات الحيوانات أو الطيور التي تتعد عن إفريقيا مثل «ميكى ماوس»، و«ميني ماوس»، وشخصية «دونالد داك» البطلة البيضاء وغيرهم، تتمتع بصفات وسلوكيات إنسانية متحضرة، كما أنها تعيش في مجتمعات متقدمة للغاية، من حيث المنازل، الطرق، وغيرها^(٣).

في المقابل؛ فإن الحيوانات في فيلمي

(٢) How have films like Disney's The Lion King and Tarzan misrepresented or negatively portrayed African culture?, Quora, 2024, Accessible at: <https://2u.pw/vvlBqoxL>

(٣) Oyinkansola Fafowora, Imagining the 'Dark Continent': Disney's Tarzan and Defining the African Post-Colonial Subject, Published paper in the University of Warwick, Aug 6, 2024, Accessible at: <https://2u.pw/mcex40kX>

إفريقيا، مثلاً؛ يتحدى بعض صنّاع الأفلام مثل السينمائي السنغالي الشهير «عثمان سمبين» التمثيل النمطي للقارة. ويحرص على نقل الواقع الحقيقي لها، بما يعطي سياقاً جديداً لكيفية تصوير إفريقيا. كما نركز على صنّاع الأفلام السود ونسبة وجودهم في صناعة الأفلام الغربية (الأمريكية بشكل أساسي)، وما يتعرضون له من تهيمش أو مضايقات.

٢- نظرية ما بعد الاستعمار:

تعتمد هذه الدراسة- إضافةً لمناهج وأدوات أخرى- على نظرية ما بعد الاستعمار PostColonial Theory، التي يُعزى تأسيسها إلى فرانتز فانون وإدوارد سعيد. من خلال هذه النظرية، نستكشف كيف يعكس تمثيل إفريقيا في السينما الغربية الإرث الاستعماري، عبر تكريس سرديات التفوق الغربي ودور «المُنقذ الأبيض»، وغيرها من صور نمطية. كما نتناول تأثير الاستعمار على المجتمعات الإفريقية نفسها، ولاسيما في الشق الإفريقي المحلي، على سبيل المثال: نحلل كيف تأثر المخرج السنغالي «سمبين» بالحقبّة الاستعمارية، وكيف انعكس هذا الشعور على أعماله السينمائية^(١).

٣- أداة المقارنة المنهجية:

من خلال مقارنة السينما الغربية بنظيرتها الإفريقية، وكذلك بما يُطرح من سرديات عبر المنصات الرقمية (نتفليكس نموذجاً)، من حيث الشخصيات التي يتم تجسيدها أو طبيعة القضايا المطروحة.

المحور الثاني: التمثيلات المتناقضة لإفريقيا في المشهد السينمائي الغربي؛

كما أشرنا في بداية الدراسة، غالباً ما تقدّم إفريقيا في الأفلام الأجنبية بوصفها قارة ذات نمط حياة بسيط وبُدائي، لكن رغم ذلك شهدت أفلام أخرى تصوير جوانبها المضيئة والمتقدمة. وعليه؛ نستعرض بعض التمثيلات الشائعة لها؛ سواء النمطية غير الدقيقة أو الاستثنائية الإيجابية.

أولاً: البدائية والفوضوية.. كيف ترسم

Bill Ashcroft, Postcolonial Theory, Wiley Online Library, (١) Dec 4, 2017, Accessible at: <https://2u.pw/fldYnI5k>

بتصويرهم كمتوحشين وخارجين عن القانون، وهو ما يبرز خطر القصة الواحدة التي يتم روايتها عن الصوماليين والأفارقة عامة، بالتركيز بشكل مبالغ فيه على موضوعات العنف والفقر والإرهاب، بما يعزز التمثيل السلبي لهم^(٣).

٤- (وحوش بلا وطن).. تجنيد الأطفال في الحروب:

بخصوص فيلم (وحوش بلا وطن) Beasts of No Nation (الصادر عام ٢٠١٥م) للممثل الشهير إدريس إلبا، فهو يسرد قصة طفل يتم تجنيده قسراً بإحدى الجماعات المسلحة بدولة إفريقية ما، متمقماً فيما يعانيه من ممارسات وحشية، هو وعشرات الأطفال المجندين على أيدي قائد الجماعة ورفاقه. ورغم تسليط الفيلم الضوء على ظاهرة مهمة كتجنيد الأطفال، فإنه يربط هذه الظاهرة في ذهن المشاهد بإفريقيا، كما يحتوي الفيلم على العديد من مشاهد العنف والدماء والفقر، لتتضمن للصور النمطية الأخرى حول القارة^(٤).

٥- المنقذ الأبيض.. البطل الغربي وإقصاء الفاعلين الأفارقة:

يُقصد بسردية (المنقذ الأبيض) White Savior Trope: تصوير الرجل الأبيض بوصفه شخصاً ينقذ أو يحرر أو يرفع من مستوى الأشخاص غير البيض، وهي التيمة التي يتم تكرارها في الكثير من أفلام هوليوود وغيرها من أفلام أجنبية. حتى إن قبيل للتسليية، فإن الأمر يتجاوز ذلك بكثير، على نحو يرسم صورةً لدى المتلقي أن إفريقيا قارةٌ يتلاقى على أراضيها الصراع والإرهاب، وأنه لن ينقذ الأفارقة من ذلك كله سوى الرجل الأبيض!

يمكن للمشاهد أن يتلمس ذلك بوضوح في فيلم (الألماس الدموي) Blood Diamond (الصادر عام ٢٠٠٦م)، الذي يروي قصة الاتجار بالماس الملطخ بدماء الأبرياء، خلال الحروب

(طرزان) و(الأسد الملك)، اللذين تدور أحداثهما في إفريقيا، يتم تصويرها بطابع أكثر بُدائية وأقرب إلى الطبيعة البرية، دون أن تُمنح نفس الأبعاد الإنسانية. كما أن بعض الشخصيات التي يجسدها (إنسان) في هذه الأفلام وتدور في إفريقيا، مثل طرزان، يُقدّم البشري فيها بطريقة تعزز هذا الطابع، حيث يظهر في العديد من المشاهد وهو يتحرك على أطرافه الأربع، وغيرها من سلوكيات تعزز صورة الإنسان غير الأبيض المتوحش المرتبط بالحياة البرية^(٥).

٢- (فندق رواندا).. بين الدموية والصراع الأبدي: يلاحظ المتتبع لأفلام السينما العالمية أنها في حال ركزت على الإفريقي كشخصية محورية، يحدث ذلك في أحيان كثيرة خلال حكايات درامية تركز على المعاناة والصراعات والإرهاب. حدث ذلك على سبيل المثال في فيلم الدراما (فندق رواندا) Hotel Rwanda (الصادر عام ٢٠٠٤م)، وتدور أحداثه حول الإبادة الجماعية التي اندلعت بالبلاد عام ١٩٩٤م، تنطلق الأحداث من خلال الشخصية الرئيسية في الفيلم (بول روسيساباجينا) الرواندي الذي يعمل مديراً لإحدى الفنادق بالبلاد، يحاول أن يُؤوي مئات اللاجئين لحمايتهم من مذابح الهوتو ضد التوتوسي، وذلك بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة^(٦).

٣- (كابتن فيليبس).. والقراصنة الصوماليين: استمراراً للتصوير النمطي ذاته، لكن في تفصيلات مختلفة، نطالع فيلم (كابتن فيليبس) Captain Philips (الصادر عام ٢٠١٣م)، للممثل العالمي توم هانكس، يركز الفيلم على قصة القبطان فيليبس الذي استولى قراصنة صوماليون على سفينته. في هذا الإطار يعرب بعض الصوماليين الذين يعيشون بالولايات المتحدة عن تخوفهم من الطريقة التي يتم بها استغلال المجتمع الصومالي في الفيلم،

(٢) D.L. Mayfield, Wrong Side of the Story: How «Captain Phillips» Affected a Somali Community, Christ Pop Culture Magazine, Oct 18, 2013, Accessible at: <https://2u.pw/4Cq7fBMx>

(٤) David Jesudason, Op.Cit

(١) Idem

(٢) David Jesudason, «Is Hollywood ready to stop stereotyping Africa?», BBC, 5 March 2021, Accessible at: <https://2u.pw/NSyVfKrl>

الأهلية والصراعات، وما يصاحب ذلك من أجواء مروّعة يعيشها بطل الفيلم «ليوناردو دي كابريو» في إحدى الدول الإفريقية، تنتهي بمقتله دون تمكنه من الفرار من القارة لبدء حياة جديدة خارجها. إضافةً لتصويره بدور «المنقذ الأبيض» المعتاد الذي يُخصّص زميله الأسود من قبضة إحدى عصابات الاتجار غير المشروع بالألباس، لينجو الأخير بحياته بفضل جهود «الرجل الأبيض»^(١).

تكرر المنظور ذاته في فيلم (واعظ الرشاش أو أسلحة الواعظ) Machine Gun Preacher (الصادر عام ٢٠١١م)، والذي يحكي قصة رجل أمريكي يذهب إلى جنوب السودان لينقذ الأطفال من الميليشيات المسلحة، على نحو يؤكد (النظرة الأبوية الأوروبية)، فبدون الغرب لن يتم انتشال الأفارقة من أزماتهم^(٢). لم يختلف الأمر كثيراً في فيلم (صرخة الحرية) Cry Freedom (الذي صدر قبل ذلك بكثير، في عام ١٩٨٧م)، ويدور حول نضال الناشط الجنوب إفريقي «ستيف بيكو»- أحد أفضل الشخصيات السوداء خلال القرن الماضي- ضد نظام الفصل العنصري «الأبارتهيد». وعلى الرغم من تناوله لهذه القضية المهمة فإنه يركز بشكل كبير على شخصية الصحافي الأبيض الذي يروي القصة، حتى إن الشخصية الإفريقية السوداء التي يدور حولها الفيلم «ستيف بيكو»، ويجسدها الممثل «دينزل واشنطن»، ينتهي دورها بمقتل «بيكو» في السجن، قبل نهاية الفيلم بحوالي ساعة ونصف. ومن ثمّ يصبح الصحافي الأبيض بطلاً للقصة محاولاً الكشف عن ملابسات مقتل صديقه «بيكو»، بدلاً من الإفريقي الأسود الذي ناضل ضد الظلم- نقول الأسود لأن كلا البطلين سواء ستيف بيكو أو الصحافي «دونالد وودز» كانا من جنوب إفريقيا، بما يكرس صورة البطل الأبيض

في مقابل إقصاء الإفريقي^(٣).

ثانياً: من مملكة زاموندا إلى المرأة الملك.. كيف تغيرت صورة إفريقيا في السينما الغربية؟

في هذا السياق؛ نستكشف كيف شهدت إفريقيا في السينما الغربية تمثيلاً منضبطاً، يراه البعض مجرد استثناء عن الصورة السائدة، فيما يعتبره آخرون خطوة نحو تصوير أكثر إنصافاً للقارة. على أي حال؛ نسلط الضوء على أبرز هذه الإنتاجات السينمائية فيما يلي:

١- مملكة زاموندا وصورة إفريقيا الخيالية: على الرغم مما تشهد صناعة السينما الغربية من أعمال تمثل إفريقيا وفقاً لكليشيات عفا عليها الزمن، فإنها تشهد من آن لآخر طفرة فيما يتم عرضه بخصوصها، حدث ذلك في بعض مشاهد فيلم (العودة إلى أمريكا) Back to America (الصادر عام ١٩٨٨م)، والذي ركز على زوايا جديدة عن إفريقيا بعيداً عن التمييز المعتاد، من خلال قصة أمير دولة زاموندا الإفريقية الخيالية، الذي يتجه إلى الولايات المتحدة للبحث عن زوجة لتجنب الزواج المدبر له. خلال ذلك يصوّر الفيلم زاموندا كدولة إفريقية ثرية تعتمد على نفسها بالكامل، بعيداً عن الصور القاتمة في السينما الغربية^(٤).

٢- مانديلا والطريق إلى الحرية:

استمراراً لمطالعة السينما الغربية التي جسدت القارة الإفريقية برؤية بعيدة عن التمييز المعتاد، يبرز فيلم الدراما (مانديلا: الطريق إلى الحرية) Mandela: Long Walk to Freedom (الصادر عام ٢٠١٣م)، وهو فيلم ملحمي، يجسد بشكل بعيد عن المبالغة رحلة كفاح السياسي الجنوب إفريقي الشهير «نيسلون مانديلا»، بدءاً من مولده ونضاله ضد نظام الفصل العنصري «الأبارتهيد»، وسجنه لمدة ٢٧ عاماً، حتى خروجه وتوليّه رئاسة البلاد، ليكون أول رئيس أسود منتخب ديمقراطياً لجنوب

(١) د. سليمان صالح، «السينما الأميركية والاستعمار الثقافي.. لماذا يحتاج العالم إلى سينما جديدة؟»، شبكة الجزيرة للإعلام، ٢ سبتمبر، ٢٠٢٢م، متاح على الرابط: <https://2u.pw/KRaUMN10>

(٢) Reece Beckett, Review: 'Cry Freedom' and its White Perspective Fails to Honour Steve Biko, Medium, Oct 17, 2023, Accessible at: <https://2u.pw/bfDoSLY2>

(٣) Roger Ebert, Narcissistic armed humanitarianism, RogerEbert.com, Sep 28, 2011, Accessible at: <https://2u.pw/jEuuEsUf>

(٤) David Jesudason, Op.Cit

تولت حماية مملكة داهومي (التي تقع حالياً في بنين) في غرب إفريقيا^(٥).

يُقدّم الفيلم صورة قوية للمحاربات الإفريقيات اللواتي يقُدن الجيوش ويدافعن عن مملكتهن ضد القوى الاستعمارية والممالك الإفريقية المتورطة في تجارة الرقيق. ويركز بشكل خاص على شخصية «نانيسكا»، القائدة المحنكة التي تقود هذه الوحدة، وتجسد نموذجاً للمرأة الإفريقية القوية، والتي تبدو كذلك بالفعل طوال أحداث الفيلم^(٦).

يؤكد العمل على شخصية المرأة الإفريقية القائدة الشجاعة، وأنها كانت متجذرة في القارة منذ قرون، ما يعث برسالة واضحة أن نساء إفريقيا لم يكن في حاجة إلى «تحرير» غربي، فقد كنّ يتمتعن بالاستقلال والقوة قبل وقت طويل من وصول الاستعمار^(٧).

المحور الثالث: صناعة الأفلام (السود) في السينما الغربية.. بين التهميش والاعتراف:

لا يمكن رؤية صورة إفريقيا في السينما الغربية بمعزل عن وضع الممثلين السود لديها، وبخاصة ذوو الأصول الإفريقية، الذين عانوا كثيراً في هذه الصناعة. في عام ١٩٦٤م، سطر «سيدني بوآتييه» Sidney Poitier تاريخاً، بعد أن أصبح أول ممثلاً من أصل إفريقي يفوز بجائزة الأوسكار عن فيلم (زنايق الحقل) Lilies of the Field (الصادر عام ١٩٦٣م بالولايات المتحدة)، وفي السنوات التي أعقبت فوزه بالجائزة، تحدث «بوآتييه» صراحةً عن العنصرية التي واجهها قائلاً: «كان السود جُداً في هوليوود، لم يكن هناك أيُّ أطر متاحة لنا تقريباً باستثناء الشخصيات النمطية أحادية البُعد»، وحتى الآن فإن الأرقام وراء الكواليس

إفريقيا، في عمل سينمائي استند إلى السيرة الذاتية لماندبلا، التي حملت الاسم نفسه، الصادرة عام ١٩٩٤م^(١).

٣- الطبيب الإفريقي ومعضلة الاندماج:
فيما يتعلق بهجوم ومشكلات الأفارقة في المهجر: يأتي فيلم (الطبيب الإفريقي) The African Doctor (الصادر عام ٢٠١٦م بفرنسا)، يتناول الفيلم قصة حقيقية عاشها «سيولو زانتوكو»، الكونغولي الذي قرر عام ١٩٧٥م الهروب من دكتاتورية الرئيس الكونغولي الراحل «موبوتو سيسسي سيكو»، بعد إكمال دراسته بكلية الطب في فرنسا^(٢).

يركز الفيلم على قصة «زانتوكو» وعائلته أثناء محاولتهم التأقلم على الحياة في قرية فرنسية وسط مجتمع أبيض بالكامل. على الرغم من التحديات التي تواجه الطبيب وعائلته، فإنه يتمكن من كسب ثقة الأهالي، الذين يدركون تدريجياً خطأ تعاليمهم ونفورهم منه ومن أسرته^(٣). في نهايته يركز الفيلم على البعد الإنساني للطبيب الإفريقي، الذي يُقدّم يد العون للرجل الأبيض حتى في ظل ما يواجهه من عنصرية، ما يكشف عن تحيزات الرجل الأبيض الخاطئة، ويعيد النظر في تصورات تجاه الآخر (الإفريقي)^(٤).

٤- المرأة الملك.. تمثيل القوة الإفريقية:
خلال استكشاف التصوير المنصف- ولو جزئياً- لإفريقيا بالسينما الغربية، نتوقف عند فيلم (المرأة الملك) The Woman King (الصادر عام ٢٠٢٢م)، وهو عمل مهم للغاية، يستند الفيلم إلى قصة حقيقية مستوحاة من محاربات (أغوجي)، وهي وحدة عسكرية نسائية

(١) Peter Bradshaw, Mandela: Long Walk to Freedom – review, The Guardian, Jan 2, 2014, Accessible at: <https://2u.pw/plmqRqX0>

(٢) Nile Fortner, Review – The African Doctor (2016), Cinephellas, Jun 25, 2018, Accessible at: <https://2u.pw/PqvlFDuf>

(٥) «The Woman King: Film about women warriors in the Dahomey kingdom», Africanews, Sep 10, 2022, Accessible at: <https://2u.pw/kdXJY-dqk>

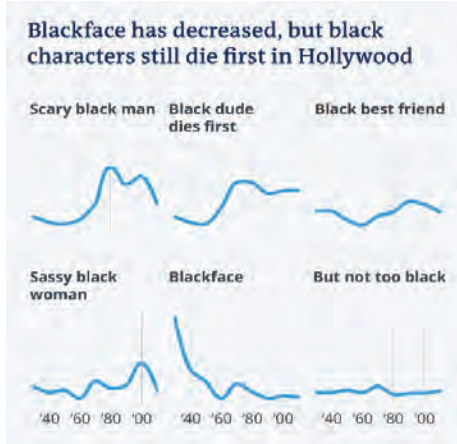
(٦) Idem

(٧) Idem

(٢) Idem

(٤) Idem

شكل رقم (٢): نماذج من الصورة النمطية السلبية التي تجسد بها هوليوود «السود» (١٩٤٠-٢٠٠٠م):



لا تزال الشخصية السوداء أول من يموت في أفلام هوليوود، كما أنه من المُرجح اختيار الرجل الأسود لدور الرجل المُخيف، فيما تجسد المرأة السوداء أدوار المرأة الثرثرة الوقحة).

Source: Kira Schacht, «What Hollywood movies do to perpetuate racial stereotypes», DW, Feb 21, 2021, Accessed at: <https://2u.pw/O7wKsyp>

للتغلب على ذلك؛ لا بد من مواجهة جادة مع صنّاع القرار في صناعة الأفلام الغربية، خاصة مع تكرار تقديم صور مشوهة عن الأفارقة. لذا؛ ينبغي لصنّاع السينما الغربية إشراك غير الغربيين في عملية سرد القصص عن إفريقيا، وفي حال غاب العنصر الإفريقي فمن الضروري تدريب عناصر العمل كافة بشكل أفضل، لضمان تمثيل أكثر دقة لصورة القارة وممثليها^(٣).

المحور الرابع: إفريقيا على شاشة نتفليكس.. كيف تروى القصة؟

في ظل عصر البث الرقمي، وظهور عدد من المنصات التي تسعى إلى تقديم رؤى وأعمال مغايرة، نحاول استكشاف كيف تُعرض إفريقيا في هذا الفضاء الجديد. نركز بشكل خاص على منصة (نتفليكس) Netflix لمعرفة ما إذا كانت تُسهم في التنوع أو أنها مجرد استثمار تجاري

Hollywood's Strange Addiction to Bad African (٢)
Accents, Op.Cit

وأمام الكاميرا ليست مشجعة^(١).

ومن ناحية الأرقام؛ يوضح شكل رقم (١) أن هوليوود مازالت خاضعة للهيمنة البيضاء، ولا توازن بين البيض والسود والآسيويين وغيرهم في هذه الصناعة، وذلك فقاً لتقرير صادر عن جامعة جنوب كاليفورنيا، قام بتحليل ٩٠٠ فيلم شهير خلال الفترة (٢٠٠٧-٢٠١٦م). مثّل السود (١٢,٦٪) من هذه الأفلام، مقابل ٧٠,٨٪ للبيض، أما النسب المتبقية فكانت موزعةً بين الشخصيات من ذوي الأصول الإسبانية والآسيويين وآخرين^(٢).

شكل رقم (١):

تمثيل السود والبيض في هوليوود (مع الإسبان والآسيويين وغيرهم):

Hollywood is still so white



Source: USC Annenberg staff, New USC Annenberg report examines representation of gender, race/ethnicity, LGBT status and disability across 900 popular movies from 2007 to 2016, USC Today, Jul 31, 2017, Accessible at: <https://2u.pw/GUSLr9Qp>

أما شكل رقم (٢) فيعرض بعض من نماذج التصوير النمطي السلبى للشخصيات السوداء (النساء والرجال)، في أفلام هوليوود، منذ العام ١٩٤٠م وحتى العام ٢٠٠٠م.

Scott Bordow, Black representation in film, TV (١) still needed behind the scenes, ASU News, Feb 3, 2022, Accessible at: <https://2u.pw/gyrXC06S>

USC Annenberg staff, New USC Annenberg report examines representation of gender, race/ethnicity, LGBT status and disability across 900 popular movies from 2007 to 2016, USC Today, Jul 31, 2017, Accessible at: <https://2u.pw/GUSLr9Qp>

يعيد إنتاج الصور النمطية ذاتها؟!)

أولاً: نتفليكس والشذوذ الجنسي في إفريقيا: إعادة إنتاج الهيمنة الغربية؟

في ملاحظة أولى على أعمال نتفليكس المُنْتَجَة في إفريقيا- التي بدأت رسمياً بالقارة منذ عام ٢٠١٦م- فإنها كنافذة بصرية جديدة لتمثيل القارة، بعيداً عن التمييز والسرديات المهيمنة، لم تأت على هذا النحو المأمول، كما سنلاحظ. في مسعاها لإنتاج أعمال تروي قصة إفريقيا؛ لم تتمكن نتفليكس- رغم شهرتها- من تلبية تطلعات الجمهور، وبخاصة الأفارقة. فبالنسبة للمشاهد الإفريقي يظل الشغف قائماً لرؤية واقع حياته اليومية منعكساً بصدق على الشاشة. ولا يختلف الأمر بالنسبة للمشاهد الغربي، الذي لم يزر القارة من قبل. وعليه يظل مدفوعاً بالفضول لاكتشاف صورتها الحقيقية وسكانها كما هم في الواقع.

وكما يُقال: «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن»، أي أنه على الرغم من الترحيب بدخول نتفليكس إلى عالم السينما والدراما الإفريقية؛ فإن إنتاجها عن القارة لم يرق إلى مستوى التوقعات، فقد استمرت في إعادة إنتاج الكليشيهات المعتادة وإن كان في قوالب جديدة، فتم اختزال إفريقيا إما كمسرح للجريمة والفقر، أو كمجال لاستعراض قضايا لا تُعبّر عن الأغلبية الإفريقية، بل تلقى رفضاً لافتاً بين قطاع عريض بينهم.

من بين هذه الأعمال: فيلم الدراما الكيني (رفيقي) Rafiki (الصادر عام ٢٠١٨م)، يتناول الفيلم قصة حب بين فتاتين في مجتمع محافظ، في محاولة لتسليط الضوء على الشذوذ الجنسي في إفريقيا، ورغم أن الفيلم حُظر في كينيا فإنه حظي بإشادة واسعة في المحافل الدولية، وعُرض في مهرجان كان السينمائي الشهير^(١).

على النهج نفسه؛ جاء فيلم (أنا صاموئيل) I Am Samuel (الصادر عام ٢٠٢٠م)، الذي ركز على حياة رجل يندرج سلوكه في إطار الشذوذ

الجنسي، تدور الأحداث في كينيا، حيث يُبرز الفيلم التحديات التي يواجهها على المستويين الشخصي والمجتمعي. وكما حدث مع أعمال مشابهة؛ قوبل الفيلم برفض رسمي في كينيا، بينما حظي بدعم واسع في المحافل الدولية^(٢).

واستمراراً للنهج ذاته؛ ركزت نتفليكس على قضية «الشذوذ الجنسي» في أعمال عديدة، وإن كان بشكل جانبي، مُحاولة ترسيخ أن هذه السلوكيات- غير المقبولة إفريقياً- تُعتبر جزءاً طبيعياً من التنوع الإفريقي، مثل مسلسل (الملكة سونو) Queen Sono^(٣) و(الدم والماء) Blood Water^(٤) لله، (وكلاهما صدر عام ٢٠٢٠م).

ومن الملاحظ؛ أن الوجود المستمر لهذه الأعمال (المتعلقة بالشذوذ الجنسي) دفع بعض الدول الإفريقية للقيام بحججها، كما تفعل هيئة تصنيف الأفلام الكينية KFCB بالتعاون مع نتفليكس، قد لا تحذف الفيلم بأكمله، لكنها تحذف المحتوى غير اللائق وفقاً لأعرافها وقوانينها. وجدير بالذكر أن هذا التوجه- من قبل كينيا- قد قوبل بانتقادات من منظمات حقوق الإنسان، زاعمين أنه يؤدي إلى تهميش تلك الفئات من المجتمع^(٥).

ثانياً: نتفليكس وإعادة تعريف علاقتها بإفريقيا:

على الرغم مما يحيط ببعض إنتاج نتفليكس الإفريقي من علامات استفهام؛ فإنه لا يعني إغفال أن عدداً منها يركز على جوانب ثرية وغير نمطية بإفريقيا، منها:

(٢) Jason Okundaye, I Am Samuel: the film aiming to 'change the narrative' on being gay in Kenya, The Guardian, May 28, 2021, Accessible at: <https://2u.pw/vBckgVCz>

(٣) Suyin Haynes, Inside Queen Sono, Netflix's First African Original Series, Time, Mar 3, 2020, Accessible at: <https://2u.pw/4kQE7tIM>

(٤) Danielle Koku, Does Netflix's Blood and Water show the 'real' South Africa?, The Guardian, Sep 2, 2020, Accessible at: <https://2u.pw/h2RcdNQc>

(٥) Netflix should be subjected to Kenyan rating standards, KFCB says, Business Daily Africa, Dec 12, 2020, Accessible at: <https://2u.pw/7zHQhTXX>

(١) Gwilym Mumford, Rafiki review – groundbreaking lesbian romance aims to change Kenyan hearts and minds, The Guardian, May 9, 2018, Accessible at: <https://rb.gy/wjyjqd>

١- أمينة Amina وحياء إرث ملكة زازو النيجيرية:

تم إطلاق فيلم (أمينة)، وهو فيلم تاريخي طويل، في عام ٢٠٢١م، يركز الفيلم على مملكة زازاو خلال القرن السادس عشر (واحدة من العديد من ممالك الهوسا في ذلك الوقت)، وملكها الشهيرة التي تستخدم مهاراتها وتكتيكاتها العسكرية للدفاع عن مملكتها من القوى الداخلية والأجنبية. وعلى الرغم من ذلك؛ أخذ على الفيلم عددٌ من المغالطات التاريخية، كما بدأً بجملة «إن حكاية أمينة كمحاربة شجاعة كانت استثنائية في وقت كان يتم فيه استعباد النساء»، وهو أمر يخالف واقع إفريقيا، التي تم تجسيد حكايات حقيقية عنها مثل وجود جيوش كاملة من النساء في القرن التاسع عشر بمملكة داهومي، كما ذكرنا سلفاً في فيلم (المرأة الملك)^(١).

٢- الفتى الذي استثمر الرياح.. حين يلتقي العلم بالإرادة:

استمراراً لتقديم رؤي بديلة عن إفريقيا في إنتاجات نتفليكس؛ يبرز فيلم (الفتى الذي استثمر الرياح) The Boy Who Harnessed the Wind (الصادر عام ٢٠١٩م)، والمستوحى من قصة حقيقية لفتى من مالواي يخترع توربيناً لإنقاذ قريته من الجفاف. يقدم الفيلم صورةً ملهمة عن الذكاء والإبداع الإفريقي، وأهمية التعليم في حياة الشعوب، بعيداً عن الزاوية التي تركز عليها التصورات الغربية أحادية الجانب^(٢).

بوجه عام؛ لا يمكن الجزم أن نتفليكس تركز بالكامل على السردية المركزية الأوروبية، وفي الوقت نفسه رغم أنها تقدم صورةً أكثر اعتدالاً عن القارة، من خلال بعض الأعمال، فإنها تركز كثيراً على موضوعات لا تتماشى مع القيم والتقاليد الإفريقية، تجلى ذلك في قضايا الشذوذ الجنسي، أو تقديم حياة الأثرياء والمشاهير بطريقة صاخبة

ومنفتحة، على نحو لا يعكس واقع الغالبية من الأفارقة، كما هو الحال في عرض Young African لله Famous. ونرى ذلك محاولةً لدس السم في العسل، بمعنى أنه يقدم صورةً تبدو براقة، حيث يُظهر أفارقة يعيشون في منازل فاخرة، ويتقلون عبر طرق ممهدة، ويعملون في بنايات حديثة تضاهي نظيراتها في الدول المتقدمة، لكن يشوبه الكثير من التحفظات حول حياة هذه الشخصيات الإفريقية التي يتم تجسيدها، من حيث أخلاقهم ونمط حياتهم ككل^(٣).

المحور الخامس: الإنتاج الثقافي الإفريقي (المحلي).. إعادة تشكيل الهوية السينمائية:

برزت الدعوات إلى «أفرقة» السينما التي تتناول واقع القارة الإفريقية، كردّ مباشر على التمثيلات النمطية التي ترسّخت منذ عقود. بناءً على ذلك؛ بات استرداد الصورة الحقيقية لإفريقيا وإعادة بناء تمثيلات أكثر دقة عن القارة هاجساً أساسياً لدى رواد السينما في مختلف أنحاء إفريقيا.

وعليه؛ نحاول استكشاف دور السينما الإفريقية في الكشف عن هموم وواقع شعوبها، بما في ذلك دورها في الكشف عن جرائم المُستعمر، ونقل واقع أكثر إنصافاً، المغاير للسردية الغربية الإقصائية^(٤).

أولاً: «عثمان سمبين».. صوت المهمشين الذي حارب الاستعمار بالكاميرا:

في سعينا لمطالعة نمط الأفلام الإفريقية التي حاولت تشكيل صورة أكثر واقعية عن القارة وهموم أبنائها، لا يمكن تجاهل اسم السينمائي السنغالي «عثمان سمبين»، أحد أعظم رواد السينما الإفريقية الذين كان لهم دورٌ كبير، ككاتب ومخرج ومنج وممثل.. والقائمة تطول، في خلق سينما تعكس واقع الأفارقة بعيداً عن الصورة الغربية النمطية. في هذا السياق؛ نشير إلى واحد من أهم أفلامه وهو (الفتاة السوداء) Black Girl (الصادر عام

(١) Amina The Movie, a review by Dr Furera (١) Bagel, Dateline, Nov.7, 2021, Accessible at: <https://2u.pw/0bNswB6g>

(٢) Benjamin Lee, The Boy Who Harnessed the Wind review – Chiwetel Ejiofor's charming directorial debut, The Guardian, Jan 25, 2019, Accessible at: <https://2u.pw/Fr2QaRVp>

(٣) Zuri Stevens, Netflix's Young, Famous, And African: Final-ly shatters the myth that we live in trees in Africa, Medium, Mar 21, 2022, Accessible at: <https://2u.pw/A1dOgOY8>

(٤) Barthelomew Gerald Aguugo and Kenneth Osunwa, Op.Cit, pp.18-19

من المهم الإشارة إلى أن هذا النوع من الأفلام لم يكن استثناءً في السينما الإفريقية، بل تكرر كثيراً كجزء من الأهداف الساعية لتسليط الضوء على جرائم الاستعمار، على سبيل المثال: فيلم (معسكر ثياروي) Camp de Thiaroye، الذي أخرجه «سمين» كذلك، (عام ١٩٨٨م)، يتناول الفيلم مجزرة «ثياروي» التي ارتكبتها الجيش الفرنسي في داكار، وقعت المجزرة داخل معسكر ثياروي، حيث تم احتجاز مجندين من غرب إفريقيا الواقعة تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي، قتلوا جماعياً بعد احتجاجهم على الظروف المأساوية التي عاشوها. هذا الفيلم، وغيره، سعى إلى توثيق انتهاكات المستعمر ومعاناة الشعوب الإفريقية في ظل الهيمنة الاستعمارية^(٥).

ثانياً: نوليوود.. نافذة جديدة لفهم إفريقيا بعيون محلية:

في العام ١٩٤٩م، ظهرت أنماط أكثر تنوعاً ومؤسسية للإنتاج السينمائي الإفريقي، كالسينما النيجيرية المعروفة منذ عام ٢٠٠٢م باسم «نوليوود» Nollywood- كما ذكرنا مسبقاً، التي رَغِبَ صنَّاعها في ترك بصماتهم عبر تقديم روايات أكثر واقعية وانسجاماً مع الحقائق التاريخية والثقافية للقارة^(٦). تقف اليوم نوليوود كثاني أكبر مركز لصناعة الأفلام على مستوى العالم، بعد بوليوود الهندية مباشرة وقبل هوليوود. لكن الأمر لا يتعلق بالكم فقط، إنهم يروون قصصاً إفريقية أصيلة، ويستكشفون موضوعات يتردد صداها بعمق داخل الشتات الإفريقي وخارجه^(٧).

١- (٩٣ يوماً).. دروس من نيجيريا في إدارة الأزمات الصحية:

يستعرض فيلم (٩٣ يوماً) (الصادر عام ٢٠١٦م)، قصة تفشي فيروس إيبولا في نيجيريا عام ٢٠١٤م، مسلطاً الضوء على الجهود البطولية التي بذلها العاملون في القطاع الصحي في لاجوس لاحتواء الوباء ومنعه من الانتشار، من خلال التضحية والعمل

١٩٦٦م)، وهو أول فيلم روائي طويل من إنتاج إفريقيا، يحكي الفيلم قصة خادمة سنغالية تعاني من العبودية والعنصرية في فرنسا^(١).

يبدأ الفيلم بوصول بطلة الفيلم «ديوانا» إلى فرنسا، هذا هو المشهد الوحيد في الفيلم الذي يتم فيه التقاط الصور بالألوان. تُظهر لقطات مقربة لوجه «ديوانا» فرحتها للحياة الجديدة التي ستعيشها، لكن بعد بضع دقائق فقط من وصولها فرنسا، يتحول هذا العالم الملون من الأمل إلى الأسود والأبيض، فعلاً ومجازاً. تفهم البطلة أن فرنسا لن تكون بالنسبة لها مكاناً للمتعة أو الحرية، بل إنها أصبحت مستعبدة لحياة الطبخ والتنظيف والحبس داخل المنزل. وعليه؛ تبدأ في رفض العمل^(٢). بعد حوالي ٤٥ دقيقة من الفيلم، تحزم «ديوانا» أمتعتها وكأنها ستهرب، لكنها بدلاً من ذلك تنتحر.

ومن المهم ملاحظة ارتباط الفيلم بالواقع، حيث إن الفيلم تدور أحداثه في الفترة التي أعقبت تحرير السنغال من فرنسا، ولكن بالطبع، كما تشهد قصة «ديوانا»، فإن هذا الاستقلال اسمي فقط، ما يؤكد استمرارية الاستعمار ومخاطره واستعباده المستمر لشعب السنغال^(٣).

لا يختلف الوضع كثيراً في فيلم (شالا) Xala، ل«سمين» أيضاً، (الصادر عام ١٩٧٥م)، الذي يُعتبر من أكثر الأفلام التي سببت إزعاجاً الغرب. في هذا العمل، يسلط سمين «أبو السينما الإفريقية» الضوء على إخفاقات الرأسمالية الإفريقية، وتأثير الإرث الاستعماري في ترسيخ الفساد داخل المجتمعات الإفريقية، وانعكاس ذلك على القيم الاجتماعية والسياسية في السنغال. يعتمد الفيلم على أسلوب السخرية اللاذعة لكشف العلاقة المعقدة بين النخب الإفريقية والمستعمرين السابقين، ما جعله نقداً حاداً للاستعمار الجديد والتبعية المستمرة^(٤).

ble at: <https://www.rogerebert.com/reviews/xala-1976>

James Leahy, Camp de Thiaroye, Senses of (٥) Cinema, Oct 2003, Accessible at: <https://2u.pw/UJWbr41E>

Spotlight on African Filmmakers: From Nollywood to Hollywood, Gabriel Mahia, Jun 15, 2023, Accessible at: <https://2u.pw/q78SDY5w>

.Idem (٧)

Zoë Hopkins, Rupture and Resistance: An Analysis of (١) Ousmane Sembène's La Noire de..., voyages Journal, Dec 15, 2019, Accessible at: <https://2u.pw/5Ki1FQ6b>

.Idem (٢)

.Idem (٣)

Roger Ebert, Xala movie review & film summary (٤) (1976), Roger Ebert Website, Jun 12, 1976, Accessi-

الغربي^(٣).

خاتمة: نحو سينما مُنصّفة.. تفكيك السرديات السائدة وإعادة إنتاج الهوية؛

في الختام؛ رغم ما لوحظ في تمثيلات ذكّرت، من حضور للقوالب النمطية السلبية عن إفريقيا في بعض زوايا السينما الغربية، فإن تغيير الصورة ليس مستحيلا، خاصة مع دخول متغيرات جديدة تؤثر في المعادلة السينمائية، من أبرزها التطور الملحوظ في الأعمال التي تتناول إفريقيا داخل هوليوود، إلى جانب صعود جيل من المبدعين الأفارقة ومن ذوي الأصول الإفريقية داخل الصناعة ذاتها.

بالتوازي مع ذلك؛ تُسهم الشعبية المتزايدة للسينما الإفريقية، مثل نوليوود، في تعزيز هذا التحول، مما يجعلنا نترقب مستقبلا واعدًا لصناعة سينمائية تحمل بصمة إفريقية خالصة، أكثر التصاقًا بهوية القارة وخصوصيتها. وفي السياق؛ فإن صعود الأفلام الإفريقية الأصلية، حيث جميع عناصرها من الفكرة إلى التمثيل وصناعة العمل تتم بأيدي إفريقية، يؤكد وجود إمكانات لا يُستهان بها، لدى صانعي الأفلام الأفارقة، ما يحض الفكرة القائلة بأن هذه الصناعة حكرٌ على الأوروبيين أو الأمريكيين. وعند مقارنة أفلام حديثة لنوليوود، مثل (أبي الرئيس) (وحفلة الزفاف) و(ملك الفتیان)، بأعمال أقدم، يظهر الفرق الشاسع بين بداية صناعة الأفلام الإفريقية وما وصلت إليه الآن من تطور ملحوظ.

في الختام؛ نستحضر مقولة الرئيس الغاني الراحل كوامي نكروما: «عندما تتغير الموسيقى يتغير الرقص أيضا»، وهو ما يدفعنا للقول بأن التحرر من هيمنة السرديات السائدة والاستعمار البصري الغربي ليس مستحيلا، بل ممكنا مع تبدل الرؤى ولو بشكل جزئي في الإنتاجات السينمائية الغربية، ومع النهضة المتسارعة التي تشهدها السينما الإفريقية. وعليه؛ نأمل أن تغمر شاشات العالم روائع الحكايات الإفريقية، بما تحمله من أبطال وقصص غير مُستكشفة بعد، تعكس ثراء التجربة الإفريقية بكل تعقيداتها وجمالياتها، في مشهدٍ يستحق أن يُروى ويُشاهد ■

الجماعي. يُبرز الفيلم كيف تمكنت دولة إفريقية من التعامل بفعالية مع أزمة صحية معقدة، بل تحولت إلى نموذج ناجح في إدارة الأزمات. وأخيرا، يقدم الفيلم سردا مغايرا للرواية الغربية التي تصوّر إفريقيا كقارة غارقة في الأزمات، تنتظر دائما المساعدة الخارجية، مؤكداً أن الحلول يمكن أن تكون إفريقية خالصة^(١).

٢- (الرئيس التنفيذي).. إفريقيا وعالم الأعمال:

يستعرض فيلم (الرئيس التنفيذي) The CEO، (الصادر عام ٢٠١٦م)، عالم الأعمال في إفريقيا، محاولا تقديم صورة أكثر حداثة عن القارة. تدور أحداث الفيلم في منتجع فاخر يقع بالقرب من لاجوس بنيجيريا، حيث يتم إرسال خمسة من كبار المديرين التنفيذيين إلى معسكر تدريبي، ليُخبروا أن واحدا منهم فقط سيصبح الرئيس التنفيذي الجديد للشركة. ما يبدأ كجو من التعاون الودي يتحول إلى منافسة شديدة، حيث يسعى كل منهم للتفوق على الآخرين. سرعان ما تتقلب الأمور عندما يُقتل المديرين التنفيذيين واحدا تلو الآخر في ظروف غامضة، مما يجعل المديرين المتبقين مشبوهين في هذه الحوادث. وهكذا يتصاعد الفيلم في عالم من الإثارة والمنافسة، ليُقدم عرضا مختلفا عن الصورة التقليدية لإفريقيا^(٢).

بوجه عام، مع إدراك الحكومة النيجيرية ما يمكن أن تدره صناعة الإنتاج السينمائي على البلاد، بدأت في الإنفاق بسخاء عليها منذ عام ٢٠٠٦م، حتى باتت صناعة السينما (مع الموسيقى) تسهم بحوالي ١.٨ مليار دولار، من الناتج المحلي الإجمالي لنيجيريا. وتسعى الحكومة النيجيرية لأن تكون هذه الصناعة بديلا للنفت مستقبلا. لكن من الضروري أن نضع في اعتبارنا أن طريق نوليوود لن يكون مفروشا بالورود، فهناك مشكلات قد تعيق تطوره، وبخاصة ما يتعلق بالقرصنة وتسريب الأفلام. لكن ذلك لا ينفي كونها إنجازا ثقافيا لافتا، نجحت في شق طريقها باعتبارها معبرة عن الهوية الإفريقية الجامعة في شقين: أحدهما فني والآخر تحرري يقاوم الاستعمار الثقافي

(١) Nteranya Sanginga, Review: 93 Days, Vac-cines Work, Aug 6, 2021, Accessible at: <https://2u.pw/4hLTP6Y7>

(٢) Chibumga Izuzu, Kunle Afolayan's «The CEO» isn't a conventional Nollywood movie, Pulse, Jul 25, 2016, Accessible at: <https://2u.pw/zAkbbadp>

(٣) هاني بشير، السينما النيجيرية بوصفها هوية إفريقية جامعة، شبكة الجزيرة للإعلام، ٩ فبراير، ٢٠٢٢م، متاح على الرابط: <https://2u.pw/3qYukSHf>